أحد الابطال الخمسة في الرواية: حامد ومريم وزكريا والساعة والصحراء، فالساعة على صلة عميقة بالاحداث التي تجري، مثلما هي على صلة بالاحداث المستدعاة، وبالشخصيات الحاضرة في البيت، أو الغائبة عنه، واستناداً لهذا الدور التأسيسي والبنائي العميق الذي تلعبه الساعة في الرواية، ولكونها تتحول لتصبح مكاناً دالاً، فإننا نؤجل الحديث عنها، إلى ما بعد الفروغ من معالجة المحتويات الأخرى للبيت وهي: الراديو، والأسرة، والطاولة، ومقاعد الجلوس.

تجيء الاشارة الى الراديو، مرّة واحدة فقط، عبر تداعيات مريم بشأن الورقة التي أرسلها حامد مع صبي الخباز متضمنة قراره بالمغادرة الى الاردن؛ الى حيث أمه، فهي تقول: «ثمّ جاء التوقيع الصغير: «حامد» مكتوباً بهدوء تماماً كما كان يكتبه على قفا عُلبة تبغه حين كان يغادر البيت لسبب من الاسباب: «سأعود بسرعة ـ حامد»، ثم يترك العلبة متكئة فوق الراديو. كان يعرف أنني أتجه الى الراديو أول ما أصل الى البيت»[٥٨]. وتكشف الجملة الاخيرة عن الصلة الحميمة التي تصل بين مريم والراديو، وتتكشف دوافع هذه الصلة حين نعرف أن حامداً ومريم كانا يتلهفان، لأعوام طويلة، الى سماع خبر عن أمهما الغائبة التي لم تتمكن من اللّحاق بهما وخالتهما الى القارب الذي قذف بهم خارج يافا، وتتعمق صلة الراديو بالاحداث حين نعرف أن إمرأة عجوزاً متدثرة ببطانية كالحة قد جاءت الى البيت لتخبر الخالة بأن اسم أختها أم حامد قد جاء في الراديو، وسألت عنها «وعن حامد وعن مريم وطلبت أن تقولوا لها أين أنتم»[٥٩]. وحين نعرف ان مريم وحامد قد بعثا رسالة للاذاعة بحثاً عن مزيد من المعلومات عن أمهما، وأنهما تلقيا جواباً على رسالتهما يفيد بأنها تعيش في الاردن، تتأكد لدينا ضرورة حضور الراديو، وأهميته بالنسبة لانبثاق الاحداث، وللقرارات التي تتخذها الشخصيات، وخاصة حامد، الذي بدا بعد أن عرف أين أمه «يدق بثبات أرضاً بعيدة... واضحاً وصلباً... وحيداً أبداً، وربما ضائعاً أيضاً، ومهجوراً»[٦٠]، إذ عبر هذه الملامح التي تراها مريم في عيني أخيها الغاضبتين اليائستين، تتبدى نبوءة الحدث الآخر الذي يتفجر مع وقع خطوات حامد في الصحراء، وايغاله فيها. ولئن بدت وظيفة الراديو أساسية في تفجير حدث تتفجر بعده أحداث الرواية، فإنه يغيب تماماً بغياب وظيفته، ولكنه يظل دالاً على الوظيفة الواقعية التي لعبها في تلك المرحلة، حيث كان هو الوسيلة الوحيدة بالنسبة للاجئين لالتقاط كلمة أو خبر عن أهلهم وأقاربهم الهائمين في الارض، ويظل دالاً، أيضاً، على انشغال الرواية الكنفانية في تكثيف الايحاء بالتمزق الذي طال الأسر الفلسطينية بسبب احتلال الوطن واقتلاعهم منه.

أما الأسرّة فإنها تلعب دوراً في أحداث جزئية ذات مغزى ودلالة، وثمة ثلاث إشارات تتوارد، جميعاً، عبر تداعيات مريم عن خالتها وعن حامد وعن زكريا، وعن العلاقة التي بين الساعة والسرير، وبين السرير وحادثة استسلامها لزكريا، وبين السرير وموت الخالة، وبين ذلك كله والموت بهيمنته واطلاقيته. تقول مريم: «هذا سريره هو. لقد نمنا معاً في هذه الغرفة حين كانت خالتنا تنام في الغرفة الاخرى قبل أن تموت. وكان سريري يمتد تحت النافذة، وسريره في الجانب الآخر مقابل الساعة. ثم نقلت سريري الى الغرفة الخارجية بعد أن ماتت خالتنا وبقي هو هنا، مقابل الساعة، على هذا السرير، يستمع أغلب الظن الى دقاتها المعدنية المبتورة تخطو فوق الجدار حول نفسها دون لحظة توقف واحدة... وحين ماتت خالتي ماتت على سريره... ويخيل اليّ الآن أنه قصد الى ذلك قصداً، فحين كانت طريحة مرضها الاخير قرر فجأة أن ينقلها من الغرفة الاخرى الى سريره، ولم يقل قط لماذا، وقد ماتت هناك بعد أن دقت الساعة دقة واحدة، في الليل...»[٦١]. وتقول مريم عن سريرها في سياق تداعياتها عن استسلامها لزكريا: «وسقطنا معاً فوق الكرسي الطويل الذي كان سريري»[٦٢].